

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

الدكتورة نحمة بانو ☆☆☆

الدكتور الحافظ عبدالغنى الشيخ ☆☆☆

سعيدة بانو ☆☆☆

إن العلامة محمد اقبال، شاعر الشرق والإسلام. قد كان شاعراً نابعاً و مفكراً إسلامياً و فلسفياً بارعاً وهو الذي جاء بفكرة إنشاء باكستان كما أنه نادى بالوحدة الإسلامية و الحرية الشاملة للبشرية كافة، فهو قايد و مفكر في نفس الوقت ولكن، فوق ذلك كلّه، هو شاعر فقد تناول شتى فنون الشعر فأبدع فيها ومن ذلك مدحه لرسول الله ﷺ وهذا الجانب من شعره هو موضوع حديثنا الآن و سوف تناوله على وجه الإجمال والاقتضاب لأنّه لم يأت بديوان مستقل في المدح النبوى كما أنه لم ينجز المطولات من القصائد الشعرية على دأب شعراء العرب والعجم أو على متوازن شعائرياً بالاردية وغيرها من اللغات الإسلامية إلا أن اقبال قد أبدع قطعات شعرية رائعة وأبيات مفردة نادرة لن تجد لها مثيلاً أو نموذجاً عند غيره من الشعراء و إنما هي أبيات وقطعات شعرية تجدها متفرقة بمعشرة في طيات دواوين اقبال الشعرية المتنوعة كما أنها نجد للألى والحوافر متبايرة في أعماق البحار، وبرغم ذلك فاشعاره تمثل قمة في المدح النبوى.

وقد مدح اقبال النبي ﷺ لأنّه كان قد رزق بحبه الصادق العميق وقد كان هو صادقاً في مدحه له ﷺ لأنّه كان قد يؤمن اقبال ايماناً صادقاً قوياً وأنّه كان قد عرف بأنّ مستقبل المسلمين والناس جميعاً إنما هو ينصر على الإيمان والاتّباع بما جاء به المصطفى ﷺ من الدين الإسلام الذي يضمن الحياة الكريمة الفاضلة للناس جميعاً.

ليس ايمانه بالإيمان الحاف الخشب، الذي هو فقط عقيدة أو تصديق بسيط، بل هو مزيج اعتقاد وحب، يملك عليه القلب المشاعر والتفكير، والإرادة والتصرف والحب والبغض. وقد كان شديد الإيمان بالإسلام وقوى العاطفة، شديد الإخلاص والإحلال لرسول الله، متفانياً في حبه مقتضاياً أنّ الإسلام هو الدين الحالى الذي لا تسد الإنسانية إلا به، وإنّ النبي ﷺ هو خاتم الرسل والبصیر بالسبيل، وامام الكل. (١)

☆ الأستاذة المشاركة، جامعة الكلية الحكومية للنساء، مدينة تاؤن فيصل آباد.

☆☆ مدير إدارة اللغات جامعة جامشورو الستندة.

☆☆☆ محاضرة جامعة الكلية الحكومية للنساء فيصل آباد.

كل شاعر له أسلوب شعري كالعاشق فقط لكن منهم يخيل نفسه محباً للرسول ورسول الله ﷺ محبوب له ويشعر على حماله وحسناته وللامع وجهه في الغالب ويترنّم أو صافه الروحية وفضائله الأخلاقية، ولكن إقبال قد بدل الشعر المدحى بالشعر القومي، معتبراً عن المصائب والألام التي كان المسلمين يواجهونها في عصرهم فقد عرضها العلامة إقبال على رسول الله ﷺ واحداً بعد واحداً وطلب منه حلّها لأمةٍ متفرقة.

كان إقبال فيلسوفاً، نابغاً، مفكراً عظيماً، شاعراً مبدعاً، زعيماً سياسياً ومحبّاً للنبي ﷺ. وليس له ديوان معين في مدح سيدنا رسول الله ﷺ ولا نجد له قصائد طويلة في مدح النبي الشريف بل تردد الأبيات المدحية في شعره متفرقة.

خذ إقبال علم الغرب ثم أبلغ المسلمين الرسالة التي يصرّ لهم بحقيقة الإسلام وعظمته وملأ قلوب الشاب الغافل النائم بحب المصطفى ﷺ والقرآن. وكان إقبال طروباً في حب النبي ﷺ وهذا هو سبب انسجام شعره مع حياته ونجد كثيراً من المواقف في حياته التي تدل على علاقته الصادقة بالحبيب المصطفى ﷺ.

يقول في أرمغان حجاز:

بجشم من نگه آورده تست
فروغ لا الله آورده تست
دو حرام کن یصبح من رانی
شبشم راتاب مه آورده تست (۲)

”أنت الذي جلبت النظر إلى عيني أنت الذي جئت بنور ”لا إله“ واجهني بصبح ”من رانی“ (۳) فأنت الذي جئت بنور القمر لليلى.“

وكان العلامة يومن بأنه يمكن نجاح الدنيا والآخرة في حب الحبيب ﷺ ومن هذا دعا شاعرنا الأمة الإسلامية إلى حبّ الرسول وبين عظمته حب سيدنا رسول الله ﷺ فيمن أبياته الفارسية والأردية.

بهکئے ہوئے آہو کو پھر سوئے حرم لے چل

”اہد الغزال الضلال إلى المدينة المنورة“

وفي الأشعار الآتية يدعو إقبال الأمة الإسلامية إلى حب النبي ﷺ واتباع سنته - عليه الصلاة والسلام:

بمنزل کوش مانند مه نو
دریں نیلی فضاهار دم فزد شو

حب النبي ﷺ في شعر إقبال

مقام خويش اگر خواهی درین دهر

بحق دل بندوراه مصطفی رو (٤)

”اقطع منازل سفرك كفمر حديد و أكبر في هذا الفضاء الأزرق لو أردت مقامك في هذا العالم“

فأوثق قلبك بالحق وأسلك سبيل الحبيب المصطفى ﷺ.“

ويقول في ”پیام مشرق“ :

هر که عشق مصطفی سامان اوست

بحروبر در گوشہ دامان اوست (٥)

”كل من يكون متاعه حب الحبيب المصطفى ﷺ يكون البر والبحر في طرف ذيله.“

هنا يحضر إقبال ضريح الحبيب ﷺ ويطلب منه كرمته وفضله بعد ذكر حرماته :

بهر دهليز تو از هندوستان آورده هم

سحده شوقي که خون گردیده در سیماي من (٦)

”إليك جئت في وجود ومجد سيماه فوق تفور.“

وفي اسرار خود يقول :

در دل مسلم مقام مصطفی است

آبروئی مازنام مصطفی است (٧)

”مهجة المسلم مثوى المصطفى عزة المسلم ذكرى المصطفى.“

وفي بعض أشعاره يشكو إقبال إلى روح رسول الله ﷺ حزن الأمة الإسلامية وضياعها . ولم تبق حلاوة التحمس و

انطفاء شعلة الحياة والإيمان في نفوس العرب . ويقول :

لقد انتشر نظم امتك يا مهدا! رسول الله ﷺ و بمن يستدعي ويلحاء المسلم الكثيب والحزين والى من

يأوى ويستجده منه عونا؟ لقد سكن بحر العرب الباهج المضطرب، وغابت من الأمة العربية ذلك الحب والشوق

واللوع الذي عرفت به فالى من اشکو حزني والمى؟ وماذا يفعل حادى امتك، وقد ضلل سبيله، وانقطع من القوافل

وغابت المطاييا وقد انتهى زاده و متاع السفر بالله! كل لى ماذا يفعل رائد امتك و حامل دعوتك والى اى مكان

يخلو سبيله، والى من يغادر وain يحدركبه؟

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

يُخاطب أقبال الأمة الإسلامية داعياً إلى حبّ الحبيب ﷺ ويقول:

حرب جان کن گفتہ خیر البشر

هست شیطان از جماعت دور نز (۸)

”واحفظن ما قاله خير البشر كل شيطان من الجمع نفر.“

وفي المنظومة "أيّ حاجي مدینے کے راستے میں" يقص قصة الشاب الذى خرج من بيته قاصداً زيارة المدينة المنورةـ. وفي الطريق نبهت قافلته وقتل ذلك الشابـ. ثم يعرض الشاعر أمامنا مشاعر الحاج الآخر ويشحّعه باستمرار سفره ويقول لنفسه لا تخف لأنـ :

خوف جاں رکھتا نہیں کچھ دشت پیکائے جماز
 مجرمت مدفون یثرب میں تھی مخفی ہے راز (۹)

“لا يخاف الذاهب إلى القفار على حياته و تستحلى هذا السر من هجرة رسول الله ﷺ.”

وفي "شفاعاته حجاز" يلقن أقبال درس محبة النبي ﷺ بأسلوب بديع عند ما يطلب أحد الوعاظين من

اقبال معونات مالية لتأسيس المستشفى في الحجاز، يحيى اقبال قائلًا:

اوروں کو دیں حضور! یہ پیغام زندگی میں موت ڈھونڈتا ہوں زمینِ حجاز میں (۱۰)

”يا سيدى! يش بالحياة غيري، أما أنا فأتمنى أن أموت في أرض الحجاز المقدسة_“

وكان أقبال يتخيل أنه مسافر إلى مكة والمدينه - شرفهما الله - يسير به الركب على رمال وعسا،
يتخيل، بشلدة شوقه وجبه، أنها انعم من الحرير وان كل ذرة من ذراتها قلب يخفق، فيطلب من السائق أن يمشي
رويداً ويرفق بهذه القلوب الحفافة. ثم يسعد بالمثول بين الرسول فি�صلى ويسلم عليه بما يفتح الله به عليه. وينتهي
الفرصة، فيحدثه عن نفسه، وبلاده، والفترة التي يعيش فيها، وعن امته، وعن الازمات، المشكلات التي تعانيها، وما
فعل بها الزمان وطوراً من الحدثان. (١١)

وفي المنظومة "جواب شكوى" نجد أروع نماذج في مدحه عليه السلام يقول:

قوتِ عشق سے ہر پست کو بالا کر دے

دہر میں اسم محمد سے اجلا کر دے (۱۲)

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

”فِيْقَوْةُ الْعُشُقِ سَيْطَرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِيْبَاسِمِ مُحَمَّدٍ تَعَالَى شَمْسُ الْبَرَاءِ.“

ويقول في موضع آخر: (١٣)

عقل ہے تیری پر، عشق ہے شمشیر تیری
 میرے درویش! خلافت ہے جہاں گیر تیری
 ما سوی اللہ کے لئے آگ ہے تکبیر تیری
 تو مسلمان ہو تو تقدیر ہے تدبیر تیری
 کی محمد سے وفا تو نے تو ہم تیرے ہیں
 یہ جہاں چیز ہے کیا لوح و قلم تیرے ہیں (١٤)

”خلافة هذه الأرض استقرت بمحدثك وهو للدنيا سماء وفي تكبيرك القدس يبدو صغيراً كل
 ما ضمّ القضاء فيما من هبّ للإسلام يدعو وأيقظ صدق غيرته الوفاء سترفع قدرك الأقدار حتى
 تشاهد أنّ ساعدك القضاء وقيل لك احتكم دنيا وأخرى وشأنك والعلود كما تشاء.“

زار اقبال قبر حكيم سنائي عند زيارته افغانستان في نوفمبر ١٩٣٣م وأنشد الغزل الذي في آخره أبيات

عديدة في مدح سيدنا رسول الله ﷺ:

عجب کیا گرمہ دپروں مرے ٹھیر ہو جائیں
 کہ بر فراز صاحب دولتے ستم سر خود را (١٥)

”إن أصيده القمر والنحوم فلا عجب فيه لأنني صرت صيد حبيبي وصاحببي.“

وَهَذَا نَعَمَ سَلْ خَتَمَ الرَّسُولُ مَوْلَانَےِ كُلْ جِنْ نَے

غَبَرِ رَاهِ کُو بَخْشا فَرُوغِ وَادِی سِيَّنا

”إنه هو علام سبيل الهدایة وخاتم النبیین ومسلا وامام الكل الذي وطأت قدمه الحصباء“

”واعطی ذرات رمل المدينة المنورة شرقاً يضاهى شرف وادی سیناء.“

نگاہِ عشق و مسی میں وہی اڈل وہی آخر
 وہی قرآن وہی فرقان وہی ثیین وہی طہ

”هو الأول (في الخلق) والآخر (في البعث) عين الحب والغرام، وهو القرآن والفرقان وهو“

حب النبي ﷺ في شعر اقبال

الذى يسمى بـيسـ وـظـة-“

ولقد تناول أقبال واقعة المعراج وهذه معجزة مهمة في التاريخ الإسلامي وكتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ مليئة بالأبحاث عنها.

وقد أدرك أقباط بعد تفكير حقيقة جوهرية في هذا المعاراج ربما قد تكون خفية على كثير من المسلمين فيقول:

سبق ملا ہے یہ معراجِ مصطفیٰ سے مجھے

کہ عالم بشریت کی زد میں ہے گردوں (۱۶)

“قد علمت من مراجـع النبـي - علـمه - أن البـشر يـسـطـعـ أن يـتـغلـبـ عـلـى السـمـوـاتـ الـعـلـىـ.”

و يقول نجيب الكندي : (١٧)

ان الذرعة الضئيلة اليه اذا سرى في، كيانها الشوق لاقت الصقر القوى الحسور، ساحرة منه هازئة بقوته،

فيقير من امامها، ولا عجب في ذلك، فان الحماس قد قلب أنفاسها الوداعة الى شر متقى، وهكذا المسلم الحق اذا ما اعتصم بالشوق والعشق وكانت له غaiات ومقاصد أصبح كالسهم المنطلق الذى تسمى غايته عن التوافه والصفائر، فهي غاية لا شبيه لها غير الكواكب، في علوها، وفي المعراج أسرار هذا العضق، و مغزى قوة الروح العاشقة.

وذرة طار فيها الشوق صاعدة

تغیر في عرصات الشمس والقمر

يـالـمـوـجـ...ـتـلـقـيـ الصـقـرـ مـقـدـمة

درجة تملاً الأفاس من شرر

ال المسلم السهم والأفلاك غايتها

سراير الروح في المعاراج فادكر

وينبع اقبال نفس الخطوات التي سار عليها سيدنا حسان بن ثابت وكل لفظ يخرج من قلمه

يحمل رسالة حب الحبيب عليه السلام.

يَقُولُ:

لوح بھی تو، قلم بھی تو، تیرا دجود الکتاب

گند آگپینہ رنگ تیرے میخ میں حباب

”يا رسول الله! إن علم اللوح والقلم من علومك، وإن شخصية قرآن صامتة، وإنك محيط

بالآفاق، بعلمرك، كـ مـكـ، حـمـتكـ، وـ السـماءـ الـزـرـقاءـ كـالـحـيـابـ يـبـنـ، يـدـيـ سـعـتكـ - ".

(A)

أسلوب إقبال في مدح النبي ﷺ :

يقول الأستاذ شفيق منصور عن شعر إقبال :

”إنه خلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلامية عندما يصل إلى ذكر رسول الله ﷺ ينسى

نفسه.“ (١٨)

لم يزل حب النبي ﷺ يزيد، ويقوى مع الأيام، حتى كان في آخر عمره اذا جرى ذكر النبي ﷺ في مجلسه أو ذكرت المدينة - على منورها الف سلام - فاضت عينه، ولم يملك دمعه . وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان شعرية عجيبة منها قوله، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى- ”أنت غنى عن العالمين وأنا عبدك الفقر فاقبل معدراتي يوم الحشر، وإن كان لا بد من حسابي، فأرجوك يارب ان تحاسبني بمحنة من المصطفى ﷺ ، فاني استحق ان انتسب اليه واكون في امته ، واقتصر هذه الندوة المعافي- (١٩)

- يظهر في شعره لوعة حبه للنبي ﷺ وتذمر أحوال الأمة الإسلامية ومخاطبته لسيدنا رسول الله ﷺ عن هذه الأحوال .
ويرى إقبال أن مقصود إيجاد الخلاق هو رسول الله و كلّ العالم الإنساني يدور حول هذا المحور وهو يوفق بين مدح سيدنا رسول الله ﷺ وأحوال الأمة الإسلامية وهو يعرض عن الأساليب القديمة في مدح النبي ﷺ ويتذكر صوراً جديدة في الثناء على النبي ﷺ والتي يدأها أساساً الشاعر الهندي الكبير الطاف حسين الحالي إلا أن إقبال وصل في الحسن والإبداع لهذا الأسلوب مبلغ الذروة . وتتجدد نماذج لهذا الأسلوب خاصة في المنظومات ”ذوق شوق“ و ”بلال“، و ”حضور رسالت مات مين“، و ”صديق“ وغيرها .

- يذكر إقبال أحياناً وقائع من التاريخ الإسلامي وإلى جانب الآخر يذكر سير أصحاب سيدنا رسول الله خصوصاً سيدنا بلال . ويفارق بينه وبين الإسكندر والقيصر ويثبت أن حب الحبيب ﷺ أفضل من السلطة والمناصب ويذكر شهداء طرابلس وعلاقة أصحاب رسول الله معه ولا نجد هذه المنظومات الأسلوب الصريح في المدح ولكن يستقى ذلك ذكر مآثر وبطولة سيدنا رسول الله وأصحابه . وهذا الأسلوب أبلغ من غيره من الأساليب في التأثير على الناس -

- في بعض الأحيان نجده يمدح سيدنا رسول الله ﷺ بطريقة التي مدحه بها ربّه في القرآن :

آنکه مہتاب از سر گشتنی دویم
رحمت او عام اخلاق عظیم (٢٠)

حب النبي ﷺ في شعر إقبال

وفي هذا البيت يبين إقبال خلق سيدنا رسول الله ومشيرا إلى الآية القرآنية :

” وإنك لعلى خلق عظيم.“ (٢١)

يقول السيد يونس شاه : (٢٢)

” وأول هدف من المدح هو اظهار عظمة سيدنا رسول الله وإيضاح أهمية وضرورة بعثه أمام الناس. ومن هذه الناحية يستحق شعر إقبال كلّه أن يوصف بمدح سيدنا رسول الله - وبالأسلوب الذي يجعل مقصid النبوة وعظمة الرسالة - موضوع شعره - نادر في تاريخ الشعر.“

- أعطى إقبال شعر مدح الحبيب المصطفى البصيرة الحكيمية ولا يقص لنافى شعره التدنى والعروج للأمة الإسلامية وجهود الحركات الإسلامية للنهضة. وهذه هي السمات العظيمة التي لا يوجد فيها كفوله ليس في الشعر الأردوى فحسب بل في الشعر العربى والفارسى أيضاً.

- أحد إقبال الأسلوب الشعري في مدح رسول الله من النظمى، والرومى والعجمى، والسعدى، والأنوارى، والعرافى، والمعطار، وبيدل وغى كاشميرى، ومومن وشهيدى، وسودا، وأمير خسرو، هؤلاء هم الشعراء الذين قد تلقى العلامة إقبال منهم منهمجهم فى التعبير عن الحب النبوى ﷺ .

فكان شعره في النبي الكريم ﷺ من أبلغ اشعاره وأقواها، وكان حشاشة نفسه، وعصارة عمله وتجاريه، وكان تقريراً عن امته - وتعبيرًا عن عواطفه -

وجملة القول إن إقبال كان شاعر النبي في شبه القارة الهندية وشعره مليء بحب النبي والفكر القرآني -

كما قال استاذنا الفاضل الدكتور ظهر ظهور اظهر في مقدمة كتابه إقبال العرب على دراسات إقبال : (٢٣)

” أما شعر إقبال فهو شعر إسلامي خالص بمعنى الكلمة لأنّه يقوم على الرسالة الحالدة التي جاء بها النبي العربي محمد ﷺ وهو يقوم على الفكر القرآني الظاهر فمنه اتخذ أسس الحياة والقيم الأخلاقية والمثل العليا و منه استعار المعانى والأفكار أنك لنقرأ شعره الأردوى والفارسى فتجده و كأنه ترجمة لآيات القرآنية أو تعبير عن الحكم النبوية الخ“

الهوامش

- ١- روايـع أقبال، ص: ٣٧-٣٨-
- ٢- ارمغان حجاز، ص: ٥٢-
- ٣- إشارة إلى الحديث: "من رأني فقد رأى الحق"-
- ٤- ارمغان حجاز، ص: ٦٥-
- ٥- بیام مشرق، ص: ١٦-
- ٦- نفس المرجع، ص: ٩١-
- ٧- اسرار يهودي، ص: ١٤ ترجمة للدكتور عبدالوهاب العزام-
- ٨- رموز يهودي، ص: ١٢٤-
- ٩- بانك درا، ص: ١٧٣-
- ١٠- نفس المرجع، ص: ٢١٠-
- ١١- روايـع أقبال، ص: ٤٢-
- ١٢- نفس المرجع-
- ١٣- نفس المرجع-
- ١٤- نفس المرجع، ص: ٢٢٠-
- ١٥- بال جبريل، ص: ٩٧-
- ١٦- نفس المرجع، ص: ٢٣٤-
- ١٧- أقبال - الشاعر الساير، ص: ٢٣:-
- ١٨- ماهنامه أدبيات إبريل ١٩٨٠ م، ص: ٢٤:-
- ١٩- روايـع أقبال، ص: ٣٧-
- ٢٠- رموز يهودي، ص: ٢١٢-
- ٢١- سورة القلم : ٤:-
- ٢٢- أردو میں نعتیہ شاعری، ص: ٤٥٠-
- ٢٣- أقبال العرب على دراسات أقبال - مقدمة-

